عثمان لوصيف

ولعينيك هذا الفيض

شعر

عثمان لوصيف
ولعينيك هذا الفيض
شعر

عثمان لوصيف

صدر للشاعر

1 ـ الكتابة بالنار 1982 شعر
2 ـ شبق الياسمين 1986 شعر
3 ـ أعراس الملح 1988 شعر
4 ـ الإرهاصات 1997 شعر
5 ـ اللؤلؤة 1997 شعر
6 ـ نمش وهديل 1997 شعر
7 ـ براءة 1997 شعر
8 ـ غرداية 1997 شعر
9 ـ أبجديات 1997 شعر
10 ـ المتغابي 1999 شعر
11 ـ قصائد ظمأى 1999 شعر
12 ـ ولعينيك هذا الفيض 1999 شعر
13 ـ زنجبيل 1999 شعر
14 ـ كتاب الإشارات 1999 شعر
15 ـ قراءة في ديوان الطبيعة 1999 شعر

عثمان لوصيف

ولعينيك هذا الفيض

شعر

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]: ٢٣.١١.٢٠٠٥

[illegible]

[illegible]

الإهداء ..

إلى الشاعر الذي لم يكتب قصيدته ..
الفنان في روحه وسلوكه وكلماته
الأستاذ العزيز د / عبد الكريم الشريف ..
إليه وإلى كل من يحمل بين ضلوعه قلبا
حيا ... من كل جِنْس أو عِرْق ، ومن كل دِين
أو لسان ..
أرفع هذه الأناشيدَ .

عثمان لوصيف .

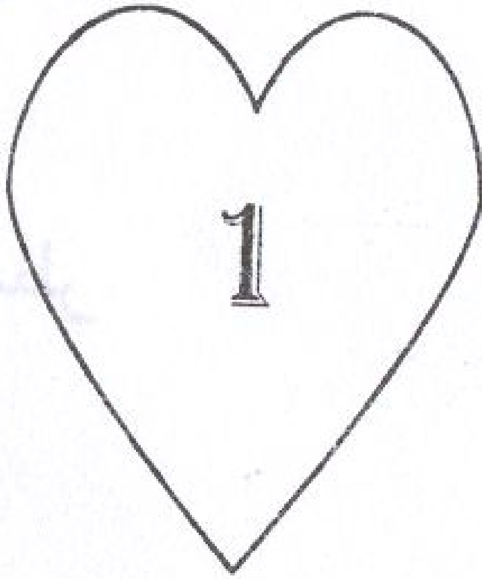
الإيداع القانوني: 714-99

إشارة :

كتبت هذه القصائد خلال

خمسة عشر يوما .

الشاعر



باغتَني أريجُكِ

فارتطمتُ بالزمن الثَّجاج

منسكبا

في بلّوركِ الشفيف ..

وتفتّتت ذرّاتي السّكرى

مندفعةً

في مهبّ اللقاحات

ملتحمة .. بالأساطير

واللحظات الهاربة

كانت الشرارة تنشطر
مندمغةً في الشرارة
والهباءة تندلع
متّحدة بالهباءة
والليل .. الليل الأزرق
يَلفُك في ريشه المشتعل
ويعرّي تأوهات الكَمنجات
إلى أن تنبلجَ
واحات النخيل
في عينيكِ النجلاوين ..

كنتِ مهتاجةً

مشبوبةً ..
وأنا كنتُ نصْفَ مخبول
أترنّح في أوقيَانوس
من الحُباب اللبني
وأموج
من أقصاكِ إلى أقصاكِ .

طولقة : 27 . 04 . 1997



الفقاقيعُ القزحيّةُ
للضوء المِدرار
تتهدَّج
في جَنَبات المرايا الغبشة
لسَرْمَد الأمداء
ثمّ تنفجر
مترذّذة
على جبيني الساهي

وتُغَلْغِلُ
عبْر مسامات شَجَني
إلى شِغَاف شِغافي
لتوقظَ فيَّ الوهجَ البكرَ
لروحي الأزليَّةِ
وتزرع
في جسدي المنهَكِ
جُلّنارات النبوغ

من مرج النوافير
فَفَارَت بالأشعَّة البنفسجيةِ
ومغمغات الزخَّات الحليبية

الأرض تستحمُّ بالفيروز

كناريَّة تتنفض قبل أن تطيرَ
ومِنْ أقصى الوديانِ
يَرنُّ عطرُ أنوثة
أضَاع الشعراءُ مفتاحَها القديم .

طولقة : 27 – 04 –1997



جسَدُك المتفتِّح الآن
على كل الجهات
مثل نيلوفرة كبيرة
تفترش ماءً
غَرِقَت فيه ملايينُ الشموس

جسدُكِ ..
يا رضوضا عاجيةً .. ملتهبةً

يا فطرا ينمو في ضحى المرآة
ويا كمنجة تتأوّهُ
بين الأصابع النحاسيَّة
للريح المجنونة ... الشَّبقَة

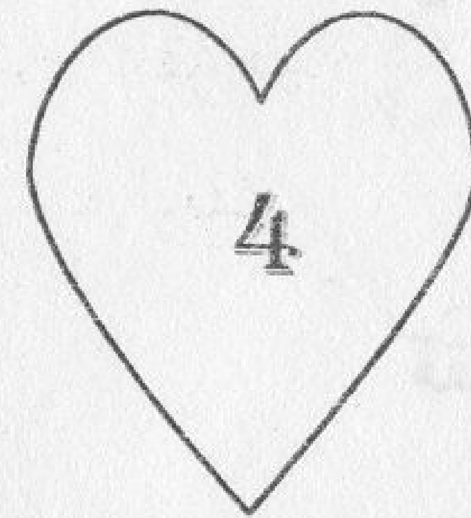
جَسَدُكِ ..
حبُّ رمّان
عُصارةُ بَرقوق مُعتّق
لبَأ ينعقد
خمير إكسيريّ
وفتِيت من سوسن و كرز

جَسَدُكِ ..
مُشتَبَك الجذور

شظايا الماء
يندلع حرائقَ .. وذُهُولاتٍ
أفواف الضوء منفوشات
سبائخ السَّهو
تعاريشُ النَّجوى
ذَوْب الراتنج
في رُبِّ النارنج
ثبج الرؤيا .. ومجرى الأيقونات

جَسَدُكِ ..
ما خابية الفردوس
ما أُترجَّة المعنى إذ تَنْفلِق
ما عناقيد النور المتَقَطِّر
وما سقسقة الشَّفق !

طولقة : 28 - 04 - 1997 .



يندلق الضوء ثَجَّاجـًا
ثَجَّاجًا
تغرق عيناكِ
في لُجِّ الفيض
تتنفض العنادل
وتَتَشرَّب الفراشات
مَنْ مَرَج

آلافَ المجرَّاتِ القزحيةِ
فتهاوت على حقويكِ
وتناثرت جُـذَاذًا
جُذَاذًا
مَنْ حرَّك
فيكِ .. سِرَّ الوَهَج البريء
ومَنَّ بثّ
في الغُضَارِ الحيِّ نارًا
وجُلَّـنَارًا

يا أنتِ ..
يا أسطورةَ البلور شَفَّافًا
شَفَّافًا
يَا وَجَع الْمَرْمَر الرَّضيض

ويا سفينة من نَرْجس
أسْلَمَها الرُّبَّان
للأوقيانوس المسجور !

طولقة : 29 - 04 - 1997



تتمادى زنجيَّات الغسق
وهنَّ يرفُلْن
في عباءات سوداوات
مَنْ أغْطَشَ المرايا
وَكَشَط البُحيرات
الخطوط .. تضيع في الخطوط
و الشطوط تختفي في الشطوط

كان الليل الأردوازي
ينوء بكَلْكَلِه على البيوتات
وكانت الكلاب الضالَّة
تُقضقض نُيُوبَها
في مهب الزَّمْهرير
و الريح الفولاذية
تعض بعصبيّة أعمدةَ الكهرباء

لكنّ طفلا مَعْتُوها
لا يزال يغتَسِل بالسهاد
ويدّثّر بعِهْنِ الكلمات
لا يزال
يُهَرْوِل مثل الحجيجِ
بين البَرْق و الظُّلمة

لا يزال هنا ..
ينبش في أتربة الدَّيْجُور
بَاحثًا عن البِذْرة المَطْمُورَة
لأرجوان النهَارات .

طولقة : 29 – 04 – 1997 .



أنتِ الآنَ

حُبلى بالمعجزات

ممتلئةً أمجادا وأساطيرَ

عيناكِ ..

سماوات قُزَحِيّة

فيهما تعترش الأغاني

وتَتَفتّق الغِوَايات

يداكِ ..

حنانُ الطبيعة في أوج صبوتها

خصلاتك الطائشة

صُورة حيَّة لأيامي الحَيْرَى

لخطواتي الضالّة

ونهداكِ الطافران

كوكبان من شَمْع معجون

سُؤالان لجوجان

وفكرتَان تستهْوِيَان العُشّاق

وأنتِ سَهرانة بجانبي

متورِّدة

فوّاحَة

لألاءة

تُطَرِّزُك البراعمُ .

وتكلّلك الأفواف

أحاول أن أدنوَ منكِ
فتَحْتَجبين في غلالتك النورانية
وتَسْتَغْشِين أصابعَك العُنّابية
لكنّ النّاياتِ المتَكسِّرة
لعطركِ الوهّاج
تظل تفضح أحْواضكِ الغرْقَى
وشلالاتِكِ الباكية.

طولقة : 30 – 04 – 1997 .



يا شلاّلا من الْماس المتوَرِّد
يا وجَعا بلّوريّ الطّلعة
عاجيّ النّشيج
يا حجلة من بَهْرَج
فوضويّ الزغبات
يا سبيبَ الضوء
ويا زبيبَ الشامات

وتكلّلك الأفواف

أحاول أن أدنوَ منكِ
فتَحْتَجبين في غلالتك النورانية
وتَسْتَغْشِين أصابعَك العُنّابية
لكنَّ النّاياتِ المتَكسِّرة
لعطركِ الوهّاج
تظل تفضح أحْواضكِ الغَرْقَى
وشلالاتِكِ الباكية.

طولقة : 30 – 04 – 1997 .



يا شلاّلا من الْماس المتوَرّد
يا وجَعا بلّوريّ الطّلعة
عاجيّ النّشيج
يا حجلة من بَهْرَج
فوضويّ الزغبات
يا سبيبَ الضوء
ويا زبيبَ الشامَات

رُوحي المتَرمِّلَة تحنُّ إليكِ
حنينَ الزجاجة المتشظية
إلى صورتِها الأولى
الْمُتْرَعة بالنَّشوات
وبالألوان
والأصداءِ
و الفُواحات ..

يا هذه الْمُهْرَة البيضاء
الشاردة وحدَها في الحنادس
ضاع اللِّجام من يَدَيَّ
وضاعت معه الْمهامِز

الحَمْحَمات تتَرَاكَض



على مرايا الماء الرَّجْرَاج
والأنفاس الملتَهبَة
تلفح زهور الياسَمين
الغارقة في النَّشوة
وبأَغْوَار عَيْنَيْكِ الصوفيَّتَين
تَحتدمِ اللُّجَج الشَّبَقَة
وتتشكل أعياد الطبيعة .

طولقة : 01 – 05 – 1997 .

رُوحي المتَرمِّلَة تحنُّ إليكِ
حنينَ الزجاجة المتشظية
إلى صورتِها الأولى
المُتْرَعة بالنَّشوات
وبالألوان
والأصداءِ
و الفُواحات ..

يا هذه المُهْرَة البيضاء
الشاردة وحدَها في الحنادس
ضاع اللِّجام من يَدَيَّ
وضاعت معه المهامِز

الحَمْحَمات تتَرَاكَض



على مرايا الماء الرَّجْرَاج
والأنفاس الملتَهبَة
تلفح زهور اليَاسمين
الغارقة في النَّشوة
وبأَغْوَار عَيْنَيْكِ الصوفيَّتَين
تحتدمِ اللُّجَج الشَّبَقَة
وتتشكل أعياد الطبيعة .

طولقة : 01 - 05 - 1997 .

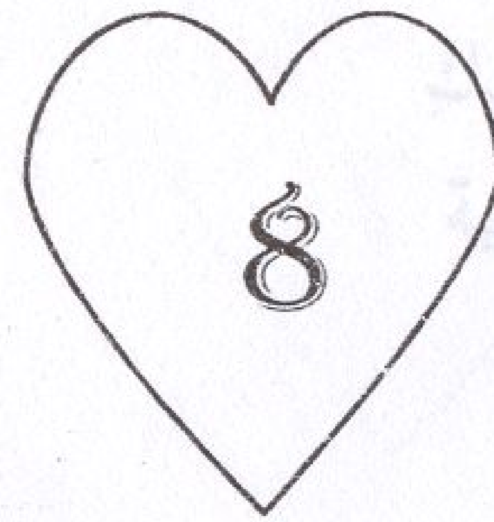
رُوحي المتَرمِّلَة تحنُّ إليكِ
حنينَ الزجاجة المتشظية
إلى صورتِها الأولى
المُتْرَعة بالنَّشوات
وبالألوان
والأصداء
و الفُواحَات ..

يا هذه المُهْرَة البيضاء
الشاردة وحدَها في الحنادس
ضاع اللجِّام من يَدَيَّ
وضاعت معه المْهامِز

الحَمْحَمَات تتَرَاكَض

على مرايا الماء الرَّجْرَاج
والأنفاس الملتَهبَة
تلفح زهور اليَاسمين
الغارقة في النَّشوة
وبأَغْوَار عَيْنَيْكِ الصوفيَّتَين
تَحتدمِ اللُّجَج الشَّبَقَة
وتتشكل أعياد الطَبيعة .

طولقة : 01 - 05 - 1997 .



اللَيلُ الرصاصيّ
يجثُم
بكَلْكَلِه على الأرض
مثل
ديناصور هرِم

ها .. وجهكِ
يرتسم فجأة في الفضاء

مثل سَوْسَنَة كبيرة

ما مِنْ أحَد
يَطَال نظراتِكِ الزائغةَ
أو يَجْرُؤ أن يلامسَ
طيفَكِ الشغوب

أسند أغانيّ للبرق
أَسْمَع الأحشاءَ تَتَفزّر
أَسْمَع الأرحامَ تتقطّع
أَسْمَع صلصلةَ الصّلصال

نثيث قُزَحيّ
يُدَغْدِغُ جراحاتي المتفتّقة

حيث تنفلق
الجوزات الخضراء
وفصوص الفيروزات البنفسجيَّة
لميلاد فجر روحانيّ
جديد .

طولقة : 01 – 05 – 1997 .

9

يا وجْهَ طفلة
يا فاتحةَ التوّابين
الأوّابين
ويا سَجَنْجَلَ القُدّوس

آهٍ ! عيناكِ نضّاختان
بالرؤى .. والألوان
فيروزتان تتندّيان

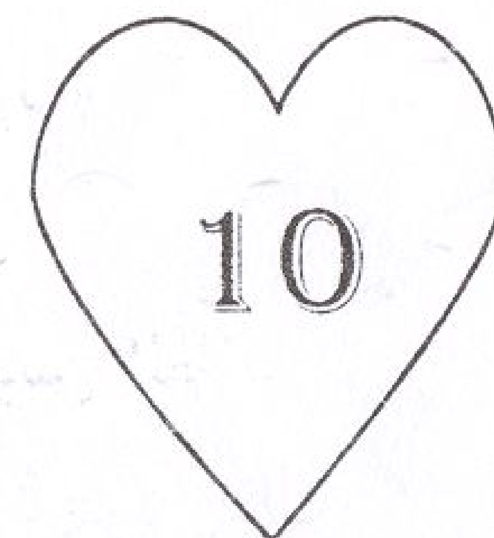
ونجمتان تتغامزان
فيَنْجَذِب الشعراء
مصعوقين
مثل الدراويش
إلى مدارهما الآسر

كان ثمّةَ خيطان
من نوارس خضراء
ترتفّ تحت قميصي المتأجّج
والبحر المجنون .. الأرعن
يندفعُ
مصطخبًا في أغواري المُدْهَامَّة
وكانت الريح المستبدّة
تحْمِل إليّ

ذرّاتِ أنفاسِك العطِرَة

أحاولُ دوما أن أطيرَ إليكِ
أن أطرقَ أبوابَكِ المختومة
لكنَّ مزاميري المترمّلة
تَشْهَق كلّها شَهْقَة واحدة
وأهوِي أنا مصْعُوقا
على حَرَم عَتَباتِكِ ..

طولقة : 01 – 05 – 1997 .



الأبوابُ الْمُوصَدَة
تَنْتَحِب
العَنَادل الْمُتلاغيَة
تجْرَح سكينَةَ الغَلَس
وَ الْقِطَط الغرْثَى تترَصَّد

حَمَأٌ ما
يتكوَّر مُبْتَهجًا لِلْفلَق

شَذَرات قرمزية تتَوَامَض

طُوبَى لِمَنْ نَفذَتْ إليه
لمساتُكَ الإلهيّة
عَبْر مَسارب الْحِنْدِس الطَّاغي
طُوبَى لِمَن طرّزت فجرَه يداكِ
بالنمش الزّاهي للصبوات المريرة

أفترشُ شَرشفَ أريجكِ
أعترِش رَفرف أغانيك
أصلّي لعينيْك السماويتين
وأنتظر مطلعَ أنوارِكِ الربّانيّة
منتصرا على زبانيّة الموت
وكوابيس البُهْتان.

طولقة : 01 – 05 – 1997 .



أتذكركِ
في كلّ صلاة
فأنحني .. في خُشوع
أغْمِض عينيَّ من رهبة
أسبّحُ بحمدكِ
وأتضرّع
إلى عينيك اللامتناهيتين
يا صورةَ ا للّه

في بهْوِ المرآة
ويا راهبةَ المعاني

من كلِّ نار
وعلى كلِّ قافية ضامرة
يتوافد الْحجيج أفواجًا
أفواجًا
شعراء
صوفيّة
ومتيّمون ..

ها هم يدخلون في الإحرام
عارين إلا منكِ
لا مخيطَ .. ولا محيط

إلاّ الطُّرَر الضّافية
لهالَتِكِ القدسيّة
ملبّين
مهلّلين
ومكبّرين ..
طائفين .. عاكفين
رُكّعا .. سُجّدا

آهٍ ! يا امرأةَ المناسك
و النوافل
يا وثنا روحانيّا
ويا معبودًا
لا يغفر إلا لمن جُنّ
بالإغماء في محرابه

ولا يقبل
إلا أن يَنْحَر العشّاق
نجائبَ أفئدتهم .

طولقة : 02 - 05 - 1997 .



ها .. أنتِ قادمة
في هَوْدَجٍ من الأنوار
وعليك ظُلَلٌ من الغمائم

المراوحُ الهفهافة
لأنفاس الأرض غِبَّ المطر
تلاطف وجنتيكِ
واليأفوفات المخمورة

تأسرها هالتُك الكوكبيّة
فترتطم بضفافكِ
وتستسلم للخدَر

وأنا أرقب التِمَاعَاتِ البروق
أبني لك سُدّة من هزيج
أرصّعُها بالصلوات
أرشقها بالصبوات
ثم أفرط قرنفلتي
للريح القادمة من مغانيكِ
أرفع نَايَاتي إلى طلعتِكِ السَّنيَّة
وأعزف تَعاويذي ..

طولقة : 02 – 05 – 1997 .



قالوا عنك مخبولة
واتّهموك بالغواية

آهٍ .. يا قِدّيسَةَ الشعراء !
آهٍ .. يا امرأة من نوافح عَبْقَر !

أخلع نَعْلَيّ وأهبطُ واديكِ
مغتسلاً بالصبابات

أسأل عنكِ الفراشاتِ المشاغبة
والعصافيرَ الثرثارة
أسأل عنكِ النجومَ الساهرة
والنّسماتِ الزائغَات

تَبْرُزين لي في كل واد
مع سقسقة الفجر
وعند هَمْهَمَة الغسق
وها هي ذي الطبيعة كلّها
تتهدّج مخمورةً
ثم تندلق في فيضكِ الضميخ
آمنةً .. مطمئنّةً

أراكِ مكلّلة بالأنداء

موشومةً بالسمفونيات
رافلةً في فستانكِ الكهنوتي
سادرةً
ساهيةً
متلبّسةً بالرموز
والأساطير..

طولقة : 02 - 05 - 1997 .

14

نمّشتُ يديك بالقبلات
غمّستُ شفتيكِ بالزنجبيل
واقتطعتُ لكِ من ضلوعي
نسرينةً وشُعاعين

أتذكر ماءَ المشيمة
أتذكر الرحم الأولى
أتذكرُ ثَدْيَيْنِ سَخِيّيْن

يَنْدَلِقان شَهْدا و رُضابا
أتذكر عَرْش اللازورد
صولجانَ البرق
و الزغبَ الدافئ

أتذكر بخورَ أنفاسِك
وهجَ لياليك
حريرَك
يتها المرأة الغارقة
النَّشوى
الكسْلى
المتيّمة ..

أتذكر نبضي الأول

ملكوتَ ا لله
ووغوغاتِ الأجنحة
أتذكر حُمّى المخاض العسير
وعُنْفَ الولادة ..

لهذا أحبكِ أكثر
عند انفجار الصواعق
وانهمارِ المطر !

طولقة : 02 - 05 - 1997 .

يَنْدَلِقان شَهْدا و رُضابا
أتذكر عَرْشَ اللازورد
صولجانَ البرق
و الزغبَ الدافئ

أتذكر بخورَ أنفاسِكِ
وهجَ لياليك
حريرَكِ
يتها المرأة الغارقة
النَّشوى
الكسْلى
المتيّمة ..

أتذكر نبْضي الأول

ملكوتَ ا لله
ووغوغاتِ الأجنحة
أتذكر حُمّى المخاض العسير
وعُنْفَ الولادة ..

لهذا أحبكِ أكثر
عند انفجار الصواعق
وانهمارِ المطر !

طولقة : 02 – 05 – 1997 .

يَنْدَلِقان شَهْدا و رُضابا
أتذكر عَرْش اللازورد
صولجانَ البرق
و الزغبَ الدافئ

أتذكر بخورَ أنفاسِكِ
وهجَ لياليك
حريرَكِ
يتها المرأة الغارقة
النَّشوى
الكسْلى
المتيّمة ..

أتذكر نبضي الأول

ملكوتَ ا لله
ووغوغاتِ الأجنحة
أتذكر حُمّى المخاض العسير
وعُنْفَ الولادة ..

لهذا أحبكِ أكثر
عند انفجار الصواعق
وانهمارِ المطر !

طولقة : 02 – 05 – 1997 .



أجتذب شرشف فستانِكِ إليّ
أفرشُه على الرمل
أتمسّح بقدميك الدمقسيتين
ثمِلاً بعطرِ الحنّاء
أقرأ سورة التوبة
وأصلّي صلاة أيوب

تتمازجُ أهدابُك بالأشعّة الخَضْرَاء

لمقتيك المحيطيتين
أسْبحُ في عشقِكِ الطّاغي
مغتسلا بالأدعية
أتقرّى رسيسَ الأيقونات الخفية
ألمس هسِيس النافورات الباكية
وأحصي ملايين المجرّاتِ المهراقة
في المرمر اللزج لجَسَدكِ الرَّجْرَاج

تفلت من فستانِك طُرّة زائغة
تزغزغ في خياشيمي
فأعطس مرّتين
أموت وأحيا مرّتين
ممرّغا أنفي في الحرير المتهدّل
أتشبَّثُ بخيطٍ من ذهَب

وأصعد إليكِ
أمشي على مدارج الأنوار
حتّى ألقاكِ
غارقةً في البهرج الباهر
لطلعتكِ البهية .

طولقة : 02 – 05 – 1997 .



تنسكبين بين ذراعيَّ المشبوبين
نَهْرَ عسل .. ولبن
أصْغي إلىً مفاصل الماء فيكِ
أحشائه
خواتمه
تويجاته
وكيزانه المتفتّقة
أغرق فيكِ .. تغرقين فيَّ

الماءُ يشْرَب الماء
والضفاف تُحاور الضفاف
وما بيننا تتغاوى
فقاقيع الزبد اللألاء

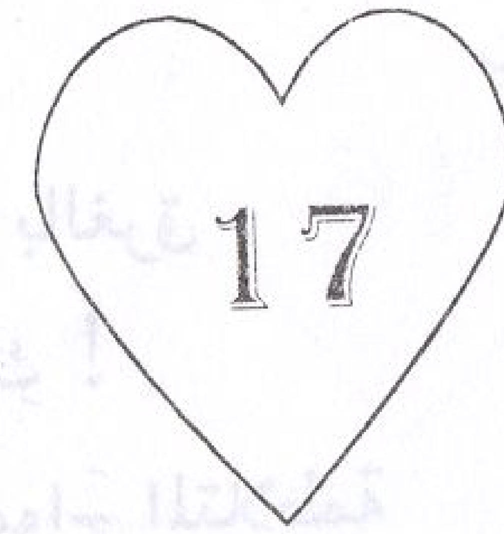
أيها اليمّ القادم من السماء
ضاعت فيك قواربي
ومجاذيفي
ضاعت فيك قوافيّ
ومواويلي
وأنا أتحمّم بالعقيان المشتعل

من أيّ أعْصُرٍ منسيّة
هذه النواميس المتدفّقة

هذه الذرّات
الشذرات المتراصّة
أعضاء الماء تغري بالغرق
وعميقة هي مراياكِ !
مَن يلجم هذه الأمواجَ المتلاطمة
أم مَن يوقف هذا الطوفان ؟

الطبيعة كلّها سكرى من عِشق
والسماوات تترك مواقعها
لتتّحد بكِ
في سمفونية خالدة !

طولقة : 03 – 05 – 1997 .



كنتُ وصاحبي في المدينة المزدحمة
ومررتِ بين اثنتين من أترابكِ
مررتِ كما تَمُرّ السحابة
كما تمرّ القَطاة
كما تمرّ الفَراشة

الأرصفة تتطرّز بالأزرار
أشجار الطريق تتبع عبيرَك

تتفتّق الأجراس
وتتوهّج الدنْدَنَات

أرى الناس سُكارى
وما هم بسُكارى !
أسمع القواريرَ تتهشّم
والدوارق ترتطِم

أيتها الجنّية الماردة
أيتها القوّة الخارقة
خُذِيني طَيَّ هسيسِكِ
طيّ بخوراتِكِ
فأنا صوفيّكِ الأرمل ..
بنبضاتي كتبتُ طواسينَ عينيكِ

وبأورادي أترعتُ موارد قدميك

هذه أنتِ عابرة
إلى غايتِك المجهولة
وهذه الحال تغلبني
فأوغل في مواجيدي
مثخنا بكِ
مضرّجا بأسمائك التي لا تُحصى
وأظل أرقُص .. أرقص
وأنا أركض خلفكِ من شارع لشارع
وأهذي مثل الدراويش
بشَطَحات الهوَى .

طولقة : 03 - 05 - 1997 .

18

تنفلتِين من بين أصابعي
كسمكةٍ صغيرة .. لَزِجَة
يا ذاتَ الزعانف الملساء
والحراشف الحريريّة

أراكِ تحت الماء تنعطفين
في البهرجِ الرباني المحتفل
محفوفةً بالخرزِ الملوّن

وأفواف الموسيقي النهريّة
يتبعكِ السّرْخَس والأشنات

أحاول أن أصلَ الضفافَ بالضفاف
لأبلغ مَجْمَعَ النّهرين
لكن البَرْزَخَ الذي تفنّنتْ يداكِ
في هندستِه الفرعونية
يقف دونكِ كالسُّرادق الهائل

كلّ عجائب الكون
تُختزَل في انعطافةٍ واحدة
لجسمِك الرشيق
آهٍ .. يا سمكةَ الأبعاد القُصْوى
يا عروسَ الماء المجلّلة بالأصداف

ويا جنّيةَ العصور الغابرة !

لكِ هذا الماءُ كلّه ملعب
من قبل بداءة البداءات
فاسبحي على هواك
حرّةً
متحرّرةً
أيتها السمكة الروحانيّة
يا قصيدة أسيرة إلى أبد الآبدين
في شباك الماء .

طولقة : 03– 05 – 1997.



وكان يكسو جسمكِ
شيء من النمش
وكنتِ تفحّين
فحيحَ الأفاعي الصائلة
أيّتها الرقطاء
المسمومة .. المسعورة
أيتها الغجرية العاشقة ..
ورحتُ أنا في ذُهول

أتشمّم إبطيك المعشوشبين
وأنتِ تتكسّرين على الحرير
تِلالا .. وأمواجا
وتخصفين عليكِ
من الريش المتطاير من حولكِ
كالفراش المهتاج

ها .. أريجُك المتسعّر يفضحكِ
وها أساوِرُك الذهبيّة
تترك معصميك
والغَبَش البنفسجي المسحور
يلفّكِ في دوّامة مُبْهَمَة !

جِيدُكِ يَهْذي بالنّدى

حقواك يُبَرْعِمَان بالنجوم
نَهْدَاكِ يُزَقْزقان للهجرة الكَهَنُوتية
خارجَ مداراتِ السنين
وبطنُك يتلوّى .. ويَعْوِي

يا إلهي !
وأنت مكتظّة بكلّ الرّموز
موشومة بكل النواميس
ماذا يمكنني أن أتهَجّى
وكل لغات العالم
لهجاته
أبجدياته .. وإشاراته
تغرق فيكِ
كلّ أسَاطير البشر

تَجد مُتّسعا فيكِ
كل الديانات والطقوسات
تموت لتحيا فيك
فافهمي إذن .. ولا تتغابَيْ !

الجلفة : 03 – 05 – 1997 .



والتقينا ذاتَ مَساء مُمْطِر
حيّتْني بابتسامة لا مبالية
وسارتْ معي
تلفّها غمامة من الصّمت والمهابة
رشقتُها بآلاف الأسئلة
فما ردّتْ .. ولا ابتسمت ثانية
غَشِيَتْني منها رعشةٌ غريبة
لِبُحرانات أغرب ..

ورأيتُ .. أنا الصوفيّ الشّاعر
أنا الفيلسوف المراهِق
رأيتُ في نظراتها المريبة
ما لم يخطُر ببال الآلهة القديمة !
رأيتُ كيف تتشكّل الدوّامات العملاقة
للسُّدم المتصادمة
كيف تتدفّق المجرّات
في طوفاناتها الطاغية .. الهدّارة
كيف تولد الأنجُم التي لا تُحْصَى
ثم تموت لتولدَ من جديد
وكيف تُختصر ملايينُ السّنوات الضوئية
في لحظةٍ واحدة
رأيتُ اللّيل يلبَس النّهار
والنّهار يلبسُ الليل

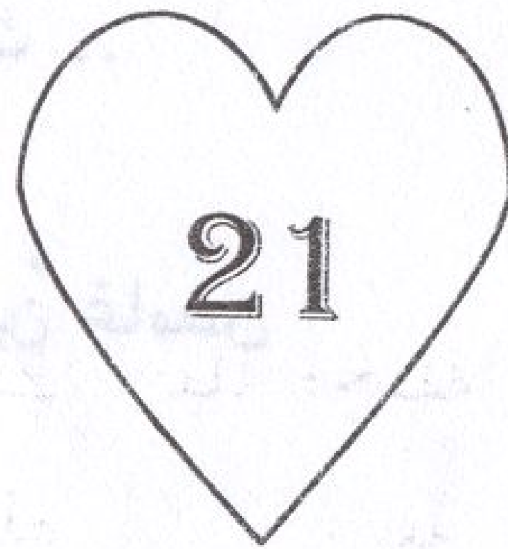
رأيتُ النارَ ماءً
والماء نارًا
رأيتُ كيف تتقاطع الأرض بالسماء
والسماء بالأرض
رتْق .. ففتْق
فتْق .. فرتْق
رأيت كيف تتجاور العناصر
ثم تتنافر
رأيت الأفلاكَ كيف تتصادى
و الكواكب السيّارة كيف تسيل
في سرمدها القزحيّ
رأيت الكون يَقَقًا
واللون غَدَقًا
رأيت التصدّعاتِ

الحَرائق
الأمْطار
الأعَاصير
النّطاف
الإرهَاص
المخَاض
الولادة ..
ورأَيت كيف تزفر الفوضى الأولية
لينبثق منها نظام الأشياء

الآن .. أفقتُ من مواجيدي
وشطَحاتي
أعدتُ عليها كلّ سؤالاتي البَلِيدَة
سردتُ أخباري ورِحْلاَتي

عِشْقي و نَزَواتي
نسجتُ في خَلَدِي ألفَ حيلة وحيلة
لأستفزّ هذه الإلهةَ الصموت المخيفة
علّها تُشفي غليلي
بَيْدَ أنها بقيتْ
طوالَ المساء المطير
تُحدّق فيَّ بعينين شَبقتَيْن
ولم تَنْبُس ببنْت شَفَةٍ !

الجلفة : 03 – 05 – 1997.



وانبلجْتِ لي ذاتَ فَجْر بعيد
واخترقت العساليجُ الطَّرية
لشعاعات وجهكِ
مخارم الزمان
ومسامات الصلصال ..
الأسباب تبدأ منكِ
وتؤول إليكِ
وكلّ الأشياء تتناسخُ

في مصهر كيميائك ..

يهزّني إليكِ حنينٌ غامض
فأطير مأخوذا
بذكرى الفردوس
يكسو قصائدي زغبٌ أخضر
ومِن حولي تتوامض
هالاتٌ دائرية
من أساطير المغامرة ..

أية سوسَنة فرطت أفوافها
ونثرتها في فلك معراجك
أية موسيقى عبقرية
بلّلت شفتيّ بماء اللهب

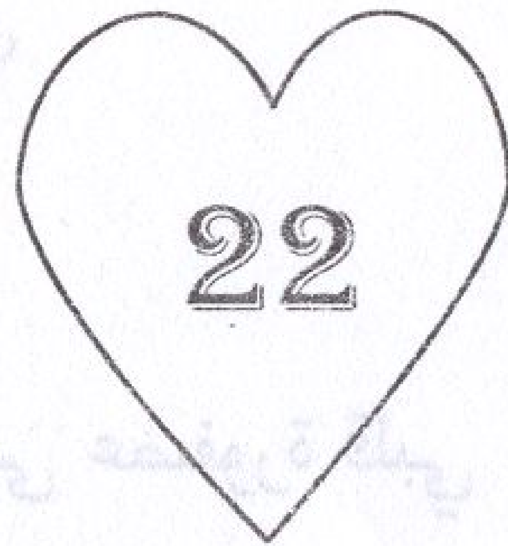
ونمّشتني بالسّهو والغواية
أيّ ألق ساقني إليكِ
وأيّ كناريّ أرشدني
إلى خدْركِ اللألاء
فصرختُ : وجدْتُكِ ! وجدْتُكِ !
ثم انغمستُ في زمزمك الطّهور ؟

أشتهي لمسةً واحدة
من يُمناكِ البيضاء من غير سوء
فأصحو على خمس ريشات
يُداعبن كَمَانِي الجريح

يا أنتِ ..
يا كلّ .. كلّ الدنيا والآخِرة

وعزّة عينيك الفيروزيّتين
افرشي لي من نورك الربّاني
وشَاحا شفيفا
كَي أصلّي ركعتين
للفجر المزهر في حدقاتك
ولتحرسْكِ الزقزقات الندية
لهذه الحروف المتغاوية !

في السيارة : بوسعادة – طولقة
04 – 05 – 1997 .



تَلألأتِ في الْمِشْكاة
وسعيتُ أنا إليكِ على قَدَر
أهدابُك النورانية
تداعبُ أهدابي
في زَخَم
الشعاعات المتلاغية
وأنفاسُك الْمسكِرة
تملأ صدْري

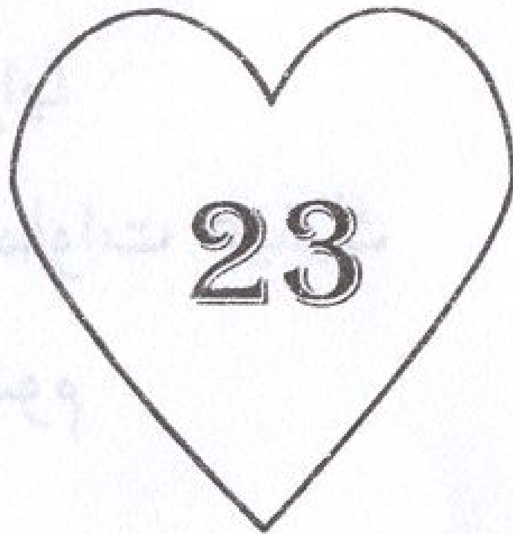
وَتَدِبُّ في مفاصِلي

تذكّرتُ
أنكِ استوليتِ على عصفورة قلبي
ذاتَ دهر ..
فقلتُ أعزف لكِ
سمفونية خالدة
علّكِ تطلقين عصفورتي
من شباكِكِ التي أحكمتِ خيطانها
فأستردَّ قلبي الأسير ..
ورحتُ أعزف المقطوعة
تِلْوَ المقطوعة
إلى أن استوَتِ السمفونية
وأُغمِي عليّ من شدّة الوَجْد

فيّأتني تعاريش من النغم
وظُلل من السّهو
ورحت منكبّا على المرايا
والشلاّلات المتصاعدة
أخاتل نظراتِكِ
كي أستردّ العصفورةَ السجينة
لكنني عندما طَفِقْتُ أمزّق
بعض خيوطِ الشباك وأمدّ يدي الواجفة .. الراجفة
ذهلتُ أشدّ الذهول
حين رأيت العصفورة
تهرب منّي إليكِ
متمسّحةً
بريشاتها الطريّة

على تَرَائبكِ
وهي تنقر كَرَزَتَيْ نهْديكِ
الغميسين
في عَسَل الصبوة ..

في السيارة : بوسعادة – طولقة
. 1997 – 05 – 04



أتسلّل إليكِ عبر مَسامَات اللحظة
يا السرمدية .. المطلقة
أتسلّل إليكِ
من ضلوعي ونيراني
لأرتمِيَ بين أحضانِكِ
وأقول : أحبّك !
يا الساكنة في مَمْلَكَة الرُّوح
يا الجَالسة على سُدَّة الكَوْن

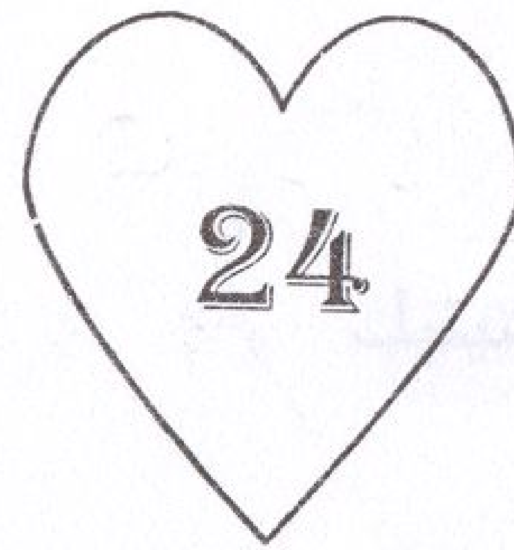
تظلّلُك الأغنيات
وتَصّاعدُ إليكِ المرايا
وأنا المزروع في سماوات عينيك
أنا السندباد الموشوم
بأمجاد المغامرة
أنا الكَناريُّ المتورّط فيكِ
أسِيرُكِ
عبْدُك المتنسّك في دير عشقِكِ
أصطلي نارَكِ المباركة
وأجبل من دموعي ونبضاتي
فصوصا أرصّع بها
خواتمكِ الماسيّة وتاجَكِ الذّهبي

تتجلّينَ لي في كلّ رِعْشَة

في كُل نَبْرَة
في كل وَمْضَة
وفي كل خطوة أخطوها إليكِ
في هذه الرّحلة الأزلية

آهٍ .. يا امرأة المعاني
والإشارات
لك وحدك هذا الفَيْض المبارك .

طولقة : 05 – 05 – 1997 .



كثبانكِ المهيلة
تحاصرني من كل الأوقات
تحاصرني السواقي الأثيرية
للألماس النثير
تحاصرني المؤتفكات المشبعة بغبار الطّلع
والعطورات الرنانة ..

حيثما وجّهتُ شبّابَتي

يَنْبلج مُحَيّاكِ لي
متلألئا .. طُفوليا .. شَغوبا
تَنبلج شلاّلاتُك
وشُموسك السّكرى
بخورات الخمائل الضميخة
نافورات اللبن
مواويل الشّفق
قيعان النّرجس المغسول بجفنيك
كمائم التبر البتول
حقول المرجان
والشعشعان الإلهي الكبير !

هذه أنتِ مُطْرقة .. مستغرقة
مَن هَيّجَ فيكِ دفعة واحدة

ملايينَ الذرّات اللاغية
مَن أثار فيكِ كلَّ شظايا الكون
عناصرَه ولغاتِه
خمائرَه ونطافه
ومَن رسَم للمجرّات مدارَها
في سماوات سهوك المتّقد
فإذا أنتِ متموّجة .. متكسّرة
متأوّهَه .. متسعّرَة
مرتطمَة .. متلاطمة

أيتُها المرأة المنبثّة في كل ذرّة
أجّجِي مخيّلتي فيكِ
ولكِ منيٍّ مجد الحدوس
وسلام الفيوضات ..

طولقة : 06 - 05 - 1997 .

25

يا ملمَس الحرير
أيها الجمْر الناعم
يا تِلال الغضار المشبّع
لبنا و زنجبيلا
يا الشمع .. الشمع المعجون
مسكا وكافورا
يا جرّة من نَغَم يزبد
يا عسلوج النور المنسرب

في الغَلَس
يا زمزم التوّابين
ويا سَلسبيل العُشّاق

من حبق ولؤلؤ
هذا الجسد الأنثوي
هذا الوهج الصوفي البريء
من هفيف السَّرخس المتهدّل
من هدهدات المروحات الأجنحة
ومن شهقات الأراغن ..
بحر من لهب رجراج
أخيليا و آذريون
كثبان الضوء مغمّسة بالخزامى
نقيع الخبّازى في إكسير الصبوة

كِسَرُ الشموس معجونة بماء الورد
وفكرة الطبيعة في خاطر الأزل

من أيّ بحر بدائيّ
طلعتِ عليّ
كما طَلَعَتْ فينوس على اليونان القديمة
من أيّ ملأ أعلى
تبوّأتِ مَجْدَ مخيّلتي
كما تبوّأتْ بَلْقِيسُ عرشَ سَبأ
أتحسّس فيكِ إيقاعَ كلّ الألوان
وشميم كل الفصول
أتحسّس فيكِ
كلّ الطقوس والمناخات
أتحسّس فيكِ أعيادَ الكواكب

واحتفالات الخلجان
أتحسَّس شماريخَ الحنين
في مسراها إليكِ عَبْرَ اللّهب
أتحسّس أزيزَ المخاضات
وهدير السلالات

يا سلاسل الإبريز
ويا قلائد النور
يا سربا من تلاحين
يهوّم في مسارب الهواء
يا جُزُرا من عاج وعقيق
يا هُلاما يتقطّرَ جَنًى و رُضابا
يا أسلاك الياقوت
في شبكات المغرب

يا مطلع التباشير
في سَجَنْجَل الأنوار
يا أبراجَ الهوى
يا دروبَ اللوز
ويا برَكًا تستحمُّ بها المرايا
والعطورات

ألمسُكِ في عبير المعاني
وفي هسيس الرؤى
ألمسُكِ في الوَهْم أو في اليقين
ألمسُكِ في شراع اليقظة
وأمطار النُّعاس
ألمسُكِ في عضلات الهواء
وأعطاف الماء

وأراكِ سَكْرَى .. متغاوية
تتموَّجين كما تتموّج قناديلُ البحر
ثم تَنْفَلتين خارجَ اللحظات

لفستانكِ حَفيف السنبل
أصابَه صَيِّبٌ من السماء
وللبدتِكِ فحيحُ الأفاعي
وَلَجَاجَة العبق
وعليكِ بقايا من نَدَى الليل
وأنا المريضُ بكِ
أنا المحكومُ عليّ بتُهْمَه العِشْق
أنا اللعينُ الرَّجيم
آهٍ ... وعينَيْكِ الفيروزيتين
دَعِينى أكْرَع

مِنْ طاساتِ إكسيرك
دعِيني أغرف من تَسْنِيم
هذا الرغد المستفيض
ثم دعيني أنغَمِس
في قدس أقداسك !

آهٍ ! يا جسما تَتَهَالك
عليه الأيام
وتتيهُ فيه مدارات الكون
ضاعَ فيك قصيدي
وضاقت عنك كلُّ رموزي
للشيح فيك نزوة
وللأقاقيا زيغ وعربدة
وفيك السّم البَلْسَم

فيك رذاذُ العنبر
نبيذ الجمُّار
الدّبس
وعطر الزيوت والأصماغ

نَغَم يموج وشعاع لجُوج
هَضَبات اللجُّيْن
تِلال الوَجَع والبزوغ
أدغال النعناع
وأدوية هَامَ فيها الشعراء

يا تضاريس البلور
يا مارجا يَنْضَح بَرْدًا وسلاما
يا ثريات

يا غذوق
يا شماريخ
ويا نكهة المنّ و السّلوى ..
يا سُلافا من فاكهة وأجاج
يا فواحات النارنج
ويا ذات التموّجات الأثيرية
أنت هيولَى الأشياء الأولى
وينبوع السِّحر والجمالات
أنتِ كاميليا الأغوار
أضاميم الضوء
مزيجٌ من آحٍ و شَهْد وَلَبأ
أنتِ ملكة الشفافير
يَرَقَة القز
أنفاسُ الأصائل

ومرايا الشعاليل
والنبوغات ..

أنتِ مَعِين الوغوغات الأولى
رُبُّ الرُّطب والعُنّاب
قباب نورانية
وأقْمار ورديَّة
أنتِ القارّات الطافية
في حركتها الأبديَّة
لكِ مَجْد العاصفة وبُشْرى الغَيْث
ولتنهّداتِكِ بَوْح المزامير
تَهبِّين زاخرةً بالآلاء
و البخورات الآسرة
البَحر يُصلّي لفيروز عينَيْكِ

والمراسي تغور .. فيكِ تَغُور !
وأنا أتأرْجَح بين مدِّكِ وجَزْرِك
وأرى كيف تتهاوى الأيقونات الحبْلى
بمجد المخيّلة
لتتوهّج على أعضائك السّكرى
وكيف تتألّق الأنجُم والأصداف
حول سُرّتِك التي تشبه
زهرةَ الياسمين
وكيف تتبجَّس
نافورات النسغ الأجاج
واليخضور الحميم

يا جَسَد امرأة
تاهت فيك كل نَواميسي

فُلّت الأزاميل وجَفّت الأقلام
وهَا أنا لا أزال غائبا
في ينابيعك الخرّارة
وغيطانِك المعشوشبة

آهٍ .. يا امرأة العِشْق
والجنون الأعمى
قولي : أَحبُّكَ .. أحبُّكَ
ومجّدي المعجزة !!

طولقة : 07 - 05 - 1997 .



ريحٌ فولاذية تعضّ الأبواب
غيْث مُبْهَم يَغْشى المدينة
وعلى شرفات البيوت
تتوامض البهَارج الغَبشَة
لمهرجان عشق مَهيب

متلفّعةً بوِشَاح مِن بخور
كنتِ تلامسين الخيطَ الرّفيع

للبرق المنزلق
في ثنايا الديجُور
وتُحصين جهشات الأجْراس

شلاّلات .. شلاّلات
من أصداء معدنيَّة
تتوالد الآن
في مَدى عينيك المنهمرتين
بالفرح .. والنشيج

زئبق الصَّبوة رجراج
وأنتِ رَجْراجة
يا أرجوحة مِن هوس أزغب
بين الغرفة والغيْمة

بين البحر والأنجم السَّهرانة

يا برجا من عاجٍ مكسور
جرفتْهُ الأنهار الوحشية
خارجَ تضاريس الزمن ..
في هذه الليلةِ المُدْهَامّة
العاجّة بالبرق
و الرعد
و الزمهرير
أمتثلُ للنداءات الشتائية
المنبعثة من أرجاء عينيكِ
وآتيكِ
على غير قَدَر
مشحُونا بالظلمات

و الرصاص المصهور
آتيكِ محزونا
ومجنونا
يا سماء من يَقق مذهَّب
يا بحرا من لَبَن مختوم
ويا أرضا تحتضنُها السمفونيات
وتتلألأ الدَّراري
على مدى سهوبها الأرجوانية .

طولقة : 09 – 05 – 1997 .



أنا قُطْب الأقطاب

يا مُريدِيّ و حَوَاريّ
يا نَدَامَايَ وسُمَّارِي
صقعتْني الحال
واستبدّت بي المواجيد
أشعلوا مجامر البخور
شدّوا الحلقات

وانقروا الدُّفُوف
كيما نَرْقُص
لهذه الكاهنَة المعبودة
رقصتَها المقدّسة

كلّ ما في مَلَكوتِ الرحمن
يسجدُ الآن بين يَديّ
الدراري تؤول إلى مداري
و المؤتفكات تصدع بأشعاري
الصّحارى .. المحيطات
الفصول .. النباتات
الجماد .. المطر .. والأنوار

منذ بَدْءِ الخَلِيقة

أرقُص لكِ
هذا الرقصَ الدائريّ المجنون
مثلما يرقُص الدراويش
مثلما ترقصُ الطيورُ لإناثها
في مواسمِ السِّفَاد
مثلما ترقصُ الحيتان
في شعشعان المحيط
ومثلما يرقصُ الغَيْمُ العاشق
للأرض المترمّضة

من ملايين السنين
أرقصُ دون هَوَادة
لهذا الحبّ القُدُّوس
لا روحك الظمأى ثَمِلَت

ولا أحوالي الصوفيّة سَكَنَت

عندما أحبُّكِ فقط
أغدو قُطْبَ الأقطاب !

طولقة : 10 - 05 - 1997.



فيُوضات .. فيوضات

طوالَ النهارات الخريفية
أتملّى
بحار الضوء
في عينيك اللامتناهيتين
طوالَ النهارات
أغتسلُ بالحُبابِ اللَّبني

لهذا الوجد السَّاطع

على الأثباج المترامية
من وراء السَّعف السكران
لأهدابكِ الأليفة
تتراقص عرائس النور
في حلقات دائرية
أو سلاسل متقاطعة
ملوّحاتٍ
بمناديلهن العَبِقَة
مازجاتٍ
في تراتيلهنَّ الصوفيّة
هباءات النثيث الماسيّ المتناثر
برذاذ القرنفل الذي يبرعم

على ثغورهـنّ ..

جارح هذا النُّور الباهر
وجارحة نظراتكِ الساهمة

طوال النهارات
أغرف من فيوضاتكِ الربَّانية
وعندما تسدل الليالي
ستائرَها بيني وبينكِ
أصغى لنداءاتكِ المتصادية
من كل الجهات
مستسلمًا
لبريق آلاف الأجنحة البيضاء
القادمة أسرابًا أسرابًا

من ضفافِكِ القصِيَّة
وهي تتلألأ
ناغيةً .. متناغيةً
لاغيةً .. متلاغيةً
وترفرف من فوقي أنا العاشق
وحْيًا وسلاما ..

يمتزج الرفيف بالزقزقات اللبنية
فينهمر الضوء مدرارا

فيوضات .. فيوضات.

في السيارة : باتنة – بسكرة
10 – 05 – 1997 .



شفافيات تتلامع
أصداء معدنية
لفطريات تمزّق جيوب التربة

كلّ الطبيعة تستجيب
لرفيف رُمُوشك
ومن الأعماق المجهولة
يصّاعَد الهديرُ الصاخِب

للأنهارِ الغائرة
في مطاوي السّنين

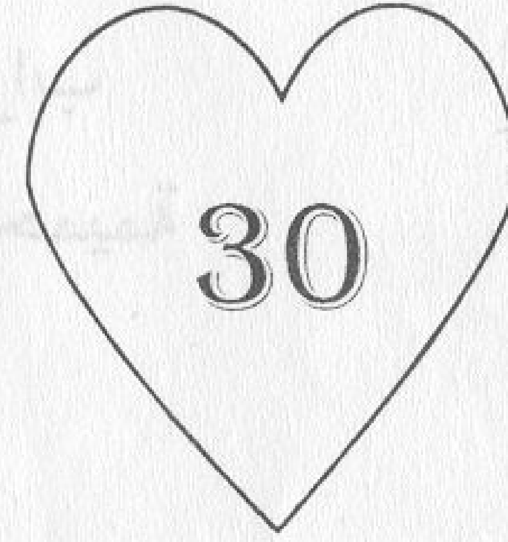
أحاولُ
أن أمسكَ باللحظة الهاربة
كي أتملّى فيكِ منابتَ الفتنة
أحاول أن أنتشلَ مراياكِ الغريقة

أجمَعُ قواي
أشدّ على خيط الضوء
وأركض باتجاه الأعاصير
أسقط في العتمة
أصرخ بكلِّ أصوات البشر

فتهتزّ عنكِ الأرض
ينتفض عنكِ التّراب
وتبرز خباياك الحميمة
بلّورية
رقراقة
غامرة كل الأبعاد
بالدندنات الغميسة
لعِطْرٍ شبقٍ
يتبجّس من عالم وُلِدَ حديثا

شفافيّات تتلامع .

في السيارة : بسكرة – باتنة
10 – 05 – 1997 .



شفق يكسر أقداحه
وعلى مدى عينيك
تشتعل الألوان
وتنهمر الأغنيات

طوالَ المساءات
تجلسين لأعياد الشَّفَق
مأخوذةً بالتَّطاريز

مجنونةً بالنَّمش

من أيِّ فيروزة لعينيك
تأتي هذه الرذاذات
التي تخترق جسدي
وتتسرّب إلى شقوق الأرض
تنقّطُ بالغوايات
فستان الطبيعة
وتلفّ جراحاتي بردا وسلاما

السقسقات النَّدية للشفق
تزنّرك بوشاحِ بنفسجي
مِن بخور وغَبَش
وأنا نبيّك الذي أضاعَ الهُدَى

أعدو إليكِ على إيقاع الأجراس
أعدو .. ولا أصل !

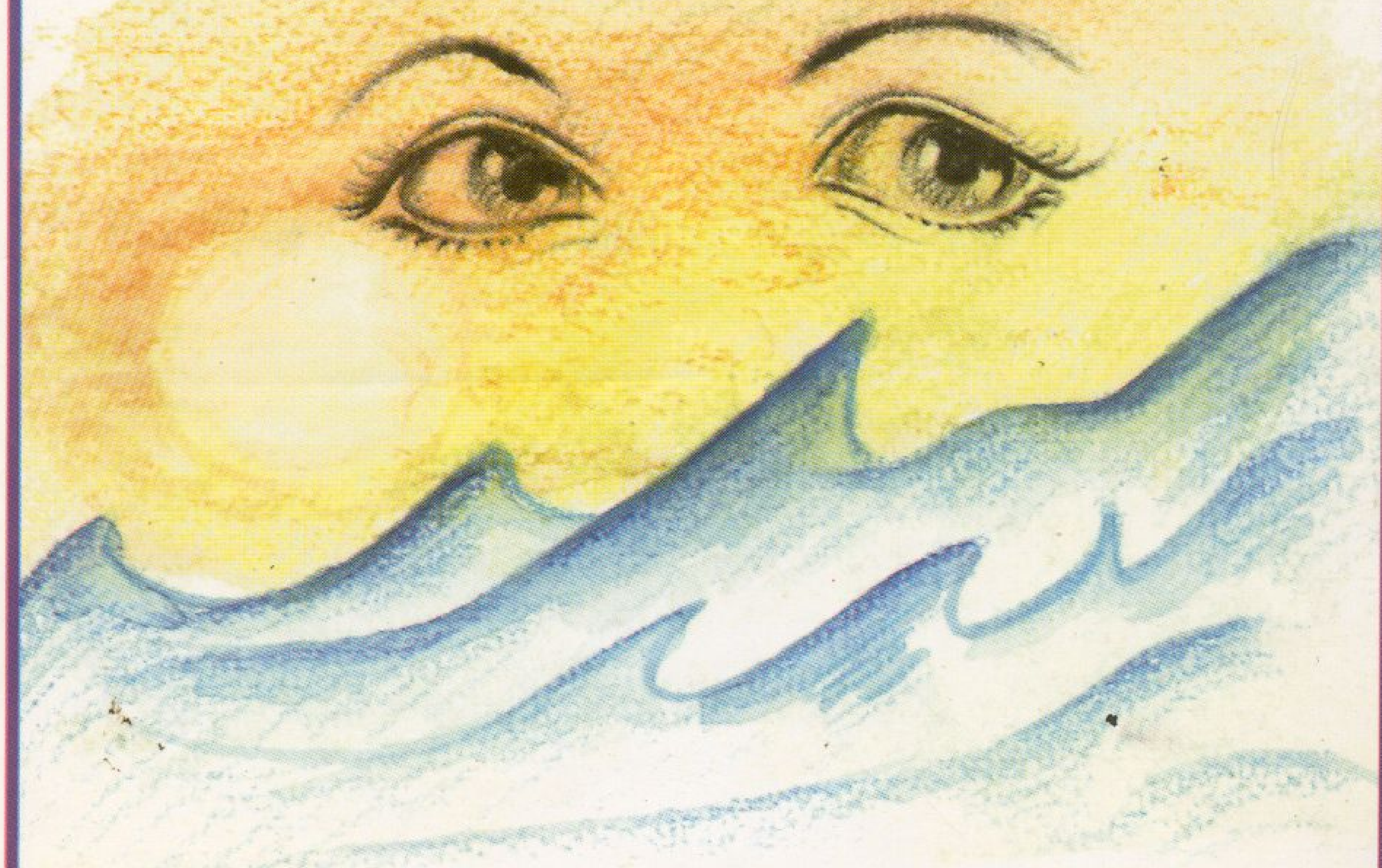
على أيّ سُدّة من الشَّفَق
تجلسين
وإلى أيّ مدى
تحدّقين
آهٍ ! يا امرأة الغيم والألوان
يا امرأة التطاريز و النّمش.

طولقة : 11 - 05 - 1997 .

طبع بمطبعة هومه

عثمان لوصيف

ولعينيك هذا الفيض



شعر